الخطوات العسكرية الإسرائيلية مخالفة للتوقعات في انتظار الغنائم الكبيرة!

15-4-2003

إن إسرائيل غير معنية بالظهور، لأنها تعتقد أنها ستجني مكاسب استراتيجية من وراء الحرب على العراق بشكل غير مسبوق، و أن المكاسب التي تسعى إلى تحقيقها ستتعزز من خلال إيجاد نظام في العراق موال لأمريكا بحيث يضع سوريا بين فكي كماشة، إذ أن عراق ما بعد صدام والأردن وتركيا كلها أنظمة موالية لأمريكا وإسرائيل، هذا بالإضافة إلى الفوائد الاقتصادية والضغوط التي ستواجه السلطة الفلسطينية وحزب الله في لبنان، لذا فان مكاسبهم الاستراتيجية تفوق المتوقع.

بقلم وسام عفيفة

رغم استمرار جرائم الإحتلال بمختلف صورها من قتل وتدمير وحصار ضد الشعب الفلسطيني، إلا أن الخطوات التصعيدية والحملات العسكرية والاجراءات غير المسبوقة التي توقعها المراقبون وحذر منها ساسة فلسطينيون من أن الإحتلال سيقدم على تنفيذها عند سقوط أول صاروخ على بغداد استغلالا لحالة الحرب، لم تتم حتى الآن بنفس السيناريوهات التي تم تصورها. والأمر المؤكد أنه ليس تراجعا في المخططات العدوانية للإحتلال بل علىالعكس فيما يبدو، إنه انتظار لكسب مغانم كبيرة.

والسبب كما يظهر أنه "إلتزام" بالإتفاق مع الأمريكيين بالحفاظ على وتيرة العدوان بنفس المستوى بحيث لا يظهر استغلال اسرائيلي للحرب يشوش على الشعارات الأمريكية التحريرية للعراقيين، فيما يرى مراقبون أنه محاولة أيضا لإعطاء رئيس الوزراء الفلسطيني (ابو مازن) هامش صغير جدا للحركة يهدف في النهاية إلى وضعه في خانة العاجز عن التغيير والمقصود هنا مواجهة المقاومة الفلسطينية ... كما لا ننسى في هذا السياق سعي الحكومة الصهيونية للحصول على الغنائم الأولية من الإدارة الأمريكية المتمثلة بالمنح والقروض التي تزيد على 15 مليار دولار .

* دعاية وقف هدم المنازل

وضمن الخطوات التي بدت أنها تخالف التوقعات، ما أفادت به تقارير إسرائيلية مؤخرا أن الجيش الإسرائيلي والمستوى السياسي بلورا تفاهمات تقضي بأن الحملات "الصاخبة" في قطاع غزة، والتي تسفر عن مقتل الكثيرين، المسلحون منهم والمدنيون، لا تنفع بقدر ما تؤجج مشاعر الكراهية والغضب ضد إسرائيل. وقال ضابط رفيع المستوى: "قررنا التوقف عن تفجير البيوت وهدمها"... إلا أن هذا القرار لايزال مناقضا لما يجري على أرض الواقع، حيث هدمت قوات الإحتلال الأسبوع الماضي العديد من المنازل في مدينة رفح، في حين أشارت المصادر الإسرائيلية إلى أن القرار اتخذ على ضوء تقييمات أشارت إلى أن هدم البيوت وعامل الردع الناتج عنه غير ناجعين، مقارنة بالأضرار الدولية الناجمة عن قتل وإصابة المدنيين.

وحتى الآن، نفذت قوات الاحتلال أكثر من 150 حملة عسكرية في شتى أنحاء قطاع غزة، تم في إطارها هدم مئات المنازل والورش الصناعية بحسب هذه المصادر. في حين يتعاظم في اسرائيل التقدير بأن الولايات المتحدة ستشدد قريبا موقفها تجاه اسرائيل وترفع إليها قائمة من المبادرات التي يتعين على اسرائيل ان تنفذها تجاه الفلسطينيين. من جانبه أشار صالح النعامى المتخصص بالشأن الإسرائيلي أن إسرائيل غير معنية بالظهور لأنها تحاول استغلال الحرب على العراق من خلال شن حملات على الشعب الفلسطيني لأنها تعتقد أنها ستجني مكاسب استراتيجية من وراء الحرب على العراق بشكل غير مسبوق،

و أن المكاسب التي تسعى إلى تحقيقها ستتعزز من خلال إيجاد نظام في العراق موال لأمريكا بحيث يضع سوريا بين فكي كماشة، إذ أن عراق ما بعد صدام والأردن وتركيا كلها أنظمة موالية لأمريكا وإسرائيل، هذا بالإضافة إلى الفوائد الاقتصادية والضغوط التي ستواجه السلطة الفلسطينية وحزب الله في لبنان، لذا فان مكاسبهم الاستراتيجية تفوق المتوقع.

ومن هنا تحاول (إسرائيل) الحفاظ على قوة الدفع لأمريكا، سيما أن إجراءاتها العسكرية في الضفة الغربية والقطاع قد استنفذت.

وقال النعامي، من هنا جاء الموقف الإسرائيلي مخالفا للتوقعات حتى الآن بشان شن حملات تصعيديه مع بدء الحرب على العراق وقد ترجم ذلك من خلال الموقف الداعي إلى وقف هدم المنازل في غزة وتحجيم حملات الاجتياح الكبيرة كما أظهرت توصيات قيادة المنطقة الجنوبية في جيش الاحتلال. وأضاف : كما إن هذا الموقف جاء بسبب ظروف ميدانية أثبتت أن عمليات جيش الاحتلال الكبيرة في القطاع لم تسهم في كبح جماح المقاومة الفلسطينية.

* خطوات دعائية

وفي إطار التفاهمات الإسرائيلية الأمريكية لتبادل الأدوار في ظل الحرب على العراق، أشارت تقارير صحفية وسياسية إلى أن الأمريكيين يفكرون بمطالبة اسرائيل بسلسلة من الخطوات. فالإدارة الأمريكية ستطالب اسرائيل بزيادة كبيرة للأموال التي تنقلها اسرائيل إلى السلطة الفلسطينية، لدرجة مضاعفة المبلغ المخصص في كل شهر (أي 50 - 60 مليون شيكل). كما ستطلب الإدارة الأمريكية إعادة تصاريح المرور للشخصيات الفلسطينية بمن فيهم نواب المجلس الوطني الفلسطيني. ومطلب آخر في مجال نقاط العبور: التخفيف من حدة الأطواق الداخلية التي تفرضها (اسرائيل) في المناطق، سيما الأطواق بين مناطق (أ) ومناطق (ب). وواضح هنا التوجه الامريكي الذي يسعى الإسرائيليون للاستفادة منه وهو "تبريد" الساحة الفلسطينية في انتظار نتائج الحرب على العراق.

وفي السياق نفسه، قالت مصادر سياسية اسرائيلية أن مسؤولي الإدارة الأمريكية ينوون أن يبحثوا مع الاسرائيليين أيضاً، الخطوات التي يتعين على (اسرائيل) القيام بها لتقوية رئيس الحكومة الجديد في السلطة الفلسطينية، أبو مازن. وسربت هذه المصادر أنباء عن أن القيادة الأمنية الإسرائيلية ستقترح انسحاب الجيش الإسرائيلي في المرحلة الأولى، من المناطق التي استولى عليها (إعادة احتلالها) في شمال قطاع غزة، دون أن يغيّر شيئًا في انتشاره في مناطق الضفة الغربية، وذلك مقابل الإجراءات العملية التي ستتخذها حكومة أبي مازن لمحاربة "الإرهاب". وتعلل الأجهزة الأمنية الإسرائيلية اقتصار الإنسحاب على قطاع غزة بأن الأجهزة الأمنية الفلسطينية هناك (في القطاع) لم تتضرّر. وقد أوضح سيلفان شالوم بعد لقائه نظيره الأميركي كولن باول أن إسرائيل تتوقع أن ينجح أبو مازن خلال تلك الفترة في شن حملة صارمة ضد حركتي المقاومة الإسلامية (حماس) والجهاد الإسلامي والمنظمات الفلسطينية الأخرى، مشيرا إلى أن إخفاقه في هذه المهمة سيحول دون إحراز تقدم في عملية السلام.

من ناحية أخرى أشار النعامي إلى أن الموقف الإسرائيلي الآن قد يكون مرتبطا أيضا بالدعوات في (إسرائيل) التي تطالب إعطاء أبو مازن بعد تعينه رئيسا للوزراء هامش مناورة وهذا لا يعني توقف جرائم الإحتلال من اعتقالات وتدمير للبيوت خصوصا في الضفة الغربية، وعلية فإن الهامش المعطي لأبي مازن سيكون محدودا جدا، إلا إذا اتخذت خطوات دراماتيكية أكثر، مثل إعادة الانتشار لمواقع ما قبل 28 سبتمبر، وربط النعامي تغير الموقف الإسرائيلي الحالي بظروف الحرب على العراق، أي انه في حال تأكد (إسرائيل) عدم انتصار أمريكا في هذه الحرب فإنها ستصعد إجراءاتها العسكرية ضد الفلسطينيين خصوصا في ظل تركيبة الحكومة الإسرائيلية الحالية.

* قلق اسرائيلي

ورغم محاولات الحكومة الإسرائيلية التناغم مع المتطلبات الأمريكية إلا أن القلق قائم بشأن مستقبل هذه الحرب وفي هذا السياق يرى الكاتب الصحفي وديع أبو نصار في "المشهد الاسرائيلي" ، أنه بموازاة التغطية الإعلامية المكثفة لتطورات المواجهات الجارية على أرض العراق، تشهد وسائل الإعلام الإسرائيلية سجالاً بين من يعتقد أن هذه الحرب مفيدة لإسرائيل ومن يعتقد أنها ستؤثر سلباً عليها. وقال: أصحاب الرأي الأول يرون أن الولايات المتحدة ستتمكن من فرض إرادتها في العراق ومن ثم في "الشرق الأوسط" في نهاية الحرب على بلاد الرافدين، وبالتالي، فإن الولايات المتحدة برئاسة جورج بوش الابن ستسعى إلى الحفاظ على مصالح إسرائيل الاستراتيجية حسبما يتصورها رئيس الحكومة الاسرائيلية أرئيل شارون، الذي يمتع بعلاقة متناغمة إلى حد كبير مع بوش. ويعتقد هؤلاء بأن الحرب هذه ستجعل الدول الإقليمية المعادية لإسرائيل، إيران وسوريا أساساً، تعيد حساباتها من حيث التزود بأسلحة الدمار الشامل من جهة ودعم الجماعات التي تقوم بأعمال عسكرية ضد أهداف إسرائيلية من حين لآخر، من جهة اخرى. ويضيف: أما أصحاب الرأي الآخر فيقولون إنه حتى بعد أن نجحت الولايات المتحدة في القضاء على نظام الرئيس العراقي في فترة زمنية قصيرة نسبياً، إلا أن التحديات التي ستواجهها الإدارة الأمريكية في العراق خاصة وفي "الشرق الأوسط" عامة ستزداد على الأرجح، مما قد يدفعها إلى تقليل دعمها السياسي والمادي لإسرائيل. ويتوقع هؤلاء بأن تواجه الولايات المتحدة صعوبات جمة في فرض نظام سياسي جديد في العراقلذلك، يتوقع هؤلاء بأن تضطر الولايات المتحدة إلى ممارسة بعض الضغوط على إسرائيل، بما يشمل ضغطًا مكثفاً لتقديم تنازلات على المسار الفلسطيني. ويتطوع الصحفي الاسرائيلي زئيف شيف في صحيفة هارتس العبرية بتحديد أولويات حكومته بالنسبة للحرب على العراق مشيرا إلى أن الموضوع الأساسي من ناحية (اسرائيل) هو الصراع الاسرائيلي-الفلسطيني، ولكن هنالك أيضاً مواضيع مهمة أخرى: سوريا، حزب الله وايران، التي يجب التركيز عليها الآن. والقاعدة الأساسية التي على (اسرائيل) التشديد عليها هي عدم البحث عن أعداء جدد لواشنطن. ويضيف مقترحاته الماكره قائلا: يمنع على (اسرائيل) أن تظهر كمن تعرض على الأمريكيين أهدافا للضرب بعد الحرب في العراق. واذا فعلت ذلك، ستتهم بأنها تحرض على الحرب بينما تجلس كمشاهدة على المقاعد وتطالب برؤية الحرب الجديدة، ضد حزب الله أو سوريا وربما ضد ايران أيضا. ويتابع : إن الأهداف التالية التي على اسرائيل التركيز عليها هي سوريا، ايران وحزب الله. يجب أن يكون هدف اسرائيل إزالة الخطر من الدولتين!.